تاريخ الاستلام: 2016/07/03- تاريخ التحكيم:2016/10/11 -تاريخ النشر2016/12/30

# العمارة والعمران في وادي سوف (1845-1900)م بعيون الرحالة والمستكشفين الفرنسيين

د. الجباري عثماني

(جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

**الملخص :**

من منطلق أن التراث المعماري لأي مكان ما هو إلا انعكاس للمقومات الحضارية التي يشهدها السكان على مر الأزمان، والمقومات الحضارية ما هي إلا نتيجة تفاعلات للقيم الثقافية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية والدينية. وعليه، أردنا من هذا المقال تسليط الضوء على النمط العمراني السائد في منطقة وادي سوف خلال الفترة المحددة، من خلال وجهات نظر الآخر الأجنبي، المتمثل في تلك الشخصيات الفرنسية المتعددة التخصصات، والتي وفدت إلى المنطقة بغض النظر عن أغراض الزيارة، وأعطت انطباعاتها عن العمران والعمارة السكنية السوفية سلبا أو إيجابا، وفقا لتفكيرها ومخيالها وحتى المهمة الموكلة إليها.

**الكلمات المفتاحية** : وادي سوف، العمران، البناء، الحوش، الغرفة، القبة، الجدار

**Abstract**

The architectural heritage of any place is only a reflection of the cultural elements that the population has witnessed over time, and the cultural elements are only the result of interactions of cultural, intellectual, economic, social, environmental and religious values. Therefore, we wanted to highlight the urban pattern prevailing in the Oued Souf area during the specified period, through the views of the other foreign, represented by those French personalities multidisciplinary, which came to the region regardless of the purposes of the visit, and gave impressions of the architecture and architecture soufian, negatively or positively, according to its thinking and imagination and even the task entrusted to it.

**Key words:** Oued Souf, Urbanization, Building, Home, Room, dome, Wall.

## مقدمة

### استهلال:

تعتبر العمارة من بين أكثر الفنون ارتباطا بالإنسان، إذ هي وليدة احتياجاته المختلفة الإنسانية والاجتماعية؛ كالمسكن والعبادة والتعليم والاستشفاء والسياحة وحتى احتياجاته العسكرية؛ لذا أخذت منه اهتماما بالغا، إذ لم يكتفي منها بما يلبي ضرورات الحياة واحتياجاته القاهرة، بل راح يتفنن في بنائها، فيسبغ عليها من آيات الجمال والزينة، إنها لم تبنى من الحجارة فقط، بل شيّدها المعمار بروحه وعقله وذوقه حتى باتت سجلا للجمال والحضارة والأصالة(ابن سعيد، ل. 2014: 16-17 أفريل). ومن هذا المنطلق، فإن ما يميز منطقة وادي سوف عن باقي المدن الجزائرية، هو ذلك الطابع العمراني والعناصر المعمارية الفريدة في تخطيط المنازل والمساكن وغيرها، أملتها الظروف المناخية والتاريخية والدينية، والتي لا نكاد نجدها في مركز حضري آخر، وقد أعطى الأجانب من الفرنسيين خاصة الذين زاروا المنطقة وصفا دقيقا لعمارة سوف؛ نحاول أن نجلي تلك الصورة بايجابياتها وسلبياتها، وإبراز أهمية الحفاظ على ذلك الموروث المميز للمنطقة من الاضمحلال والانكفاء، والذي يشكل إحدى الروافد السياحية التراثية الغنية بعمق الأصالة الذي يحاكي تاريخ المنطقة.

### 1- العمارة والعمران المصطلح والمفهوم:

وقبل الكلام عن العمران والعمارة في وادي سوف، نشير إلى أن العُمران هو البنيان، أو ما يعمَّر به المكان وتُحسَّن حالتُه من كثرة الأهالي فيه، ويقال: أرض براح؛ لا بناء فيها ولا عمران. والعِمارة في اللغة العربية ضد الخراب(الأزدي، أ. 1987م: 288/1)، وقد أطلق عليها العلامة ابن خلدون "صناعة البناء"، بحيث يقول: هذه الصناعة أوّل صنائع العُمران الحضري وأقدمها، وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكنّ، وذلك أن الإنسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله، لا بد له أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحرّ والبرد، كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسُقف والحيطان من سائر جهاتها(ابن خلدون، ع. 2004: 386-387). والعِمارة في الموسوعات الغربية المعاصرة، هي فنّ البناء، وفق قواعد جمالية وهندسية محددة، إنها فنّ جماعي ينظم المجالات المبنية، لتحتضن حياة الناس، ولتكون إطارا لأعمالهم، ولهوهم، وترفيههم، ومجالا، لا ينحصر في الصروح، بل يتناول الملجأ والكوخ والأثاث، وكل ما يستعمله الناس في حياتهم اليومية؛ تلبي حاجات ثلاثا متأصِّلة في الإنسان، هي الحاجة الإنتفاعية، والحاجة الجمالية، والحاجة الرمزية(فياض، ر. 2017/3/31).

## 2- الشخصية السوفية في العمارة السكنية:

### 2-1- المسكن السوفي وتكويناته المعمارية:

يمكن القول أن حركة العمران المادي قد تأخرت بمنطقة سوف عن ما سواها من حواضر بلاد الجريد أو بلاد ريغ. وبحكم الصراعات السياسية التي كانت تعصف بالمغرب الأدنى (إفريقية)؛ اتخذت كثيرا من القبائل أرض سوف كمأوى لها، وهو ما يشير إليه العدواني في قوله: "عليكم بسوف فهي أم الهاربة"(العدواني، م. 2011: 117). وعند استقرار طرود وعدوان بالمنطقة، بدأت تظهر ملامح العمران بعناصره المميزة، ومن منطلق أن المسكن محصلة تفاعل بين الإنسان والبيئة المحيطة به؛ أصبح بذلك للسوافة شخصية متفردة في تخطيط المسكن، نابعة من الفكر العمراني الإسلامي الأصيل. ومن تلك التكوينات والعناصر المعمارية السكنية، ما يأتي:

– **الصحن(الفناء المكشوف)**: ويسمى في الوادي "الحوش"، نسبة إلى ذلك الفضاء الواسع في وسط المنزل، تحيط به الحجرات والجدران(الأسوار) (Nadjah, A. 1971: 92). وتكمن وظيفته في توفير نسبة جيّدة من الإضاءة والتهوية، وفي تلطيف الجو وخفض درجة الحرارة أيام القيظ؛ نتيجة الظِّلال الناتجة عن تقابل أضلاعه، وقد ثبت بالتجربة أن درجة الحرارة داخل الفناء تنخفض درجتين على الدرجة السائدة في المنطقة. وهو أيضا بمثابة مرشح للهواء الذي يحمل الغبار، ويزيد من نفعه إذا زرعت فيه أشجار أو توسطه حوض مائي، وأصبح يمثل محور النشاط الرئيس في المساكن السوفية. ولا غرو فمعظم السكان ذوو أصول عربية شرقية، والفناء عنصر أساسي في تخطيط المنزل الشرقي منذ أقدم العصور باعتبار ملاءمته المعمارية لمناخ المنطقة الحار(عثمان، م. 1988: 340/128).

وترجع أهمية الصحن كجزء رئيس في كل منزل، إلى أنه، المكان الذي تقوم فيه ربة البيت بأعمالها المنزلية؛ بعيدا عن الغرباء من الزوار أو الجيران أو المارة، وفوق ذلك تقام فيه معظم الفعاليات العائلية خلال النهار، ويستخدم كمجلس للعائلة خلال الليل في أشهر الصيف(الشامي، ع. 1978: مج9/ ع146/1). وقد راعى مشيدو المساكن في سوف، الآثار الصحية في تموضع مرافق البيت، فالجهة الغربية بها دار التخزين والمطبخ ودار النوم، والجهة الشرقية التي تواجهها الشمس في أكثر النهار ومحافظة على نظافة البيت من أنواع القذارة، وخصصت لبيْت الماء "الخربة"(الكنيف) والإسطبل(Nadjah, A. 1971: 92) ، ويوجد في هذه الجهة أيضا البئر عند العائلات الميسورة الحال.

– **الدهليز(المدخل المنكسر والسقيفة)**: للأثر الديني دور في تخطيط المنازل بالوادي، إذ لا يمكن الوصول إلى صحن البيت مباشرة. وتمثل تخطيطها في هيئة دهليز، أو ممر ملتو متعرج أو منكسر يؤدي إليه الباب المطل على الشارع، ولهذا يكون الدهليز يحتوي على بابين داخلي يفتح لفناء المنزل، وخارجي يفتح على الزقاق، وبين البابين ممر على هيئة منكسرة تشبه حرف اللام الابتدائي "ل " نهايتاه هما الباب الداخلي

والخارجي؛ وبهذه الحيلة تجنب بها المعمار أن يكون البابان على محور واحد، وبوجود هذا الممر الملتوي توفرت الحماية لمن بداخل فناء المنزل، وصيانة الحريم من عيون الغرباء، ومنع الفضوليين من اكتشاف ما داخل البيت. وقد ابتكر هذا النوع من المداخل المنكسرة لأول مرة في العمارة العسكرية؛ بهدف إعاقة تقدم العدو المقتحم للمداخل، ثم اقتبسته عمارة المسكن لملاءمته(شافعي، ف. 1970: 433-434).

– **القُبّة والدَّمْسَة:** تعتبر القبّة عنصر من عناصر العمارة الإسلامية، وهي؛ نوع من الأقبية التي تستخدم للتسقيف، وفي أبسط أشكالها، عبارة عن نصف كرة مجوفة تقف على أعمدة أو جدران. وإن لجوء أهل سوف إلى بناء القباب جاء كضرورة مادية ودينية؛ تمثلت في نقص مادة الخشب والحديد ونحو ذلك مما يُستخدم كسند للسطوح، وتوفر مادة الجبس المصنعة محليا، والذي ساهم وبشكل فعال في انتشار التسقيف؛ لسرعة تماسكه وتصلبه. أما السبب الديني لبناء مثل هذا الطابع، هو إرادة سكان المنطقة المحافظين في الابتعاد عن بناء السطوح؛ لإخفاء النساء عن الأنظار(Voisin, A. 2004: 164) .

والأمر الذي ساهم في شيوع هذا النمط المعماري في المنطقة، هو سهولة ويسر تشكيل تلك القباب، والتي لا تتطلب وسائل كثيرة أو تقنية معقدة، وكل ما يلزم هو إقامة الجدران الأربعة الحاملة لها(حسونة، ع. 2013: 114-116). ونظرا لانتشار هذا النوع من الطراز العمراني العربي الأصيل في المنطقة، والتي أصبحت تشكل العنصر الأساس في تسقيف غرف المنازل والمساجد والأضرحة؛ ولهذا أطلقت "ايزابيل ابرهاردت" أواخر القرن 19م تلك العبارة الشهيرة على مدينة الوادي، "ومدينتهم ذات القباب الألف"(ابرهاردت، از. 2006: 140) ، ومن هنا جاء اللقب التي أصبحت تُعرف به الوادي؛ "مدينة الألف قبة وقبة"، وظل هذا علامة مسجلة لوادي سوف.

وكما أن للقبة العديد من الوظائف، منها، كسر وتوزيع الأتربة حتى لا تتراكم على السطح؛ لأن المنطقة رملية تشهد العديد من العواصف، عكس وتكسير أشعة الشمس الحارة حتى لا تتمركز في مساحة واحدة، تلطيف الجو داخل الغرفة، إضافة فضاء إضافي في البيت من الداخل(غنابزية وآخرون، 2000)، القبة بشكلها المتماسك تقاوم وتعمر طويلا، القباب أكثر تهوية وتسيل الأمطار من عليها فور تساقطها. والمادة الإنشائية للقبة في سوف هي الجبس وحجر اللوس، والدعامة في تشكيلها تمثل في قوس مُصمم من عصي الجريد والجبس(بن علي، م. 2013: 117-118)؛ يساعد البنائين على حسن تكويرها وتقويسها.

وقد تطور هذا النوع من القباب في أواخر القرن التاسع عشر، وأصبح يغطي المنازل الأكثر حداثة قباب نصف اسطوانية تُعرف بـ "الدّمسة"(Voisin, A. 2004: 164) ، والدمْس: التغطية، وكل شيء غطيته فقد دمسته، والتَّدْميس: إخفاء الشيء تحت الشيء(الأزدي، أ. 1987م: 263/12)، وهي: قبة نصف اسطوانية، جاءت إلى المنطقة من الجنوب التونسي، وانطلقت من وادي سوف إلى وادي ريغ عن طريق البنائين السوافة. وقد رُكبت الدّمسة عند ظهورها على محور أفقي من أخشاب النخيل، ثم على أقواس داخلية من الجبس، ومن الناحية الوظيفية كان دورها شبيها بدور القبة، من حيث قوة المقاومة في مواجهة العوامل المناخية من تركيز أشعة الشمس والأمطار(حسونة، ع. 2013: 117). إلا أن، الدّمسة حلت مشكلة عرض الغرفة إلى الامتداد المطلوب، بحيث تغطي مساحة أكبر، وترتكز في طرفيها على قوسين من الجبس يسمى الواحد منها العقد ويُعرف شعبيا "بلغراب"، يُثبت في وسطه قارورتين زجاجيتين مملوءتين بالماء؛ حتى توفر الإضاءة للغرفة(بن علي، م. 2013: 119-120).

وقد عُمّم هذا الطراز المعماري على المباني والمساكن الرسمية للإدارة الفرنسية بعد استقرارها بالمدينة، إذ حافظت على هذا الطراز المعماري المميز وأشاعته، كما أدخلت عليه تحسينات ذات صبغة جمالية، كتلبيس الجدران بالجبس(سترها)، والتي كانت بادية الحجارة ظاهرة من

الداخل والخارج لا يسترها السكان(العوامر، إ. 1977: 83)، ربما لأنهم للبداوة أقرب منهم للحضارة، كما أبقى الفرنسيون على مواد البناء المحلية التي كان يستعملها السكان كحجر اللوس، وحجر التافزة، والجبس المصنوع محليا(منصور، أ. 2004: 33).

**2-2- الشوارع والأزقة:** كان تطور تخطيط المدن والحواضر في سوف، لا يختلف عن تخطيط المدن العربية الإسلامية، فقد كان للمدينة شارعها الأعظم الذي يتسع أضعاف أزقتها الأخرى، وكانت الشوارع تستخدم للسير على الأقدام، كما أن وسائل الحمل والنقل لم تكن إلا الدواب، ولهذا اتخذت الشوارع صفة الضيق استجابة للمناخ الحار وشدة وهج الشمس وأشعتها في فصل الصيف خاصة، ومن ثم فقد كان ضيق الشوارع سببا في زيادة مساحة الظل في الطرق(الشامي، ع. 1978: مج9/ ع1/142).

الأمر مثله نجده في عمارة سوف، بحيث نجد الأزقة الضيقة في الأحياء السكنية العتيقة لا تزال شاهدة على ذلك إلى يومنا هذا، وبشكل منظم ومتلاصق ومتتابع تفتح الدور على أزقة متفرعة عن الشارع الرئيس، بحيث يتراوح عرض الزقاق مابين 2 إلى 2.5 م، وغالبا ما تكون حادة (ذات نهاية مغلقة) أي متصلة من طرف واحد بالشارع الرئيس. ففي حاضرة قمار مثلا، الأزقة الشمالية أكثر طولا، وأطولها على الإطلاق زقاق المحاوشة الواقع على حد البلدة الشمالي، والذي يمتد من الطرف الشرقي إلى الطرف الغربي للبلدة. تتكاثر الأزقة بشكل منتظم كأغصان شجرة الأرز التي تكون متناسقة، وتتميز عموما باستقامتها تماشيا مع الشكل الأول للبلدة القديمة، وكانت كل زيادة في المدينة متلازمة بإقامة مسجد ورحبة على شاكلة المدن الإسلامية(حسونة، ع. 2013: 44) ، وهو ما نلحظه في أغلب قرى وحواضر سوف.

**3- حواضر وقرى سوف امتداد للمدن العربية الإسلامية:**

لقد تحدث العلماء على شروط إنشاء المدن، وقدموا تصورات بل نظريات للخطط المدنية المتعلقة بتنظيم المدن، واستعرضوا شروطا دقيقة لإنشائها، كما حددوا وظائف قطاعات المدينة من الداخل التي كانت تتوافق مع متطلبات المدن آنذاك بل أن بعضها لا يزال صالحا لزماننا هذا(المنيس، و. 1989: 46/11)، ولعل من أبرز من تحدث عن هذه الشروط صاحب مؤلف "سلوك المالك في تدبير الممالك" شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع(ت 272هـ)، وقد أوجب على من أراد إنشاء مدينة أو اتخذ مصرا، مراعاة ثمانية ضوابط أو شروط(ابن أبي الربيع، ش، 1996: 107-108)، وهي:

- أن يسوق إليها الماء العذب ليُشرب؛ حتى يسهل تناوله من غير عَسفٍ.
- أن يقدر طرقها وشوارعها، حتى تتناسب ولا تضيق.
- أن يبني فيها جامعا للصلاة في وسطها؛ ليقرب على جميع أهلها.
- أن يقدر أسواقها بكفايتها؛ لينال سكانها حوائجهم من قرب.
- أن يميّز بين قبائل ساكنيها، بأن لا يجمع أضدادا مختلفة متباينة.
- إن أراد سكناها، فليسكن أفسح أطرافها وأن يجعل خواصه كنفًا له من سائر جهاته.
- أن يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء؛ لأنها بجملتها دار واحدة.
- أن ينقل إليها من أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها، حتى يكتفوا بهم ويستغنوا عن الخروج لغيرها.

ويمكن اتخاذ مدينة الوادي مركز الإقليم سوف وقاعدته الأساسية، كنموذج لدراسة مدى تطبيق الشروط المذكورة آنفا لدى ساكنته والتي هي من أصول عربية (قبائل طرود). بحيث تحتل المدينة موقعا استراتيجيا هاما، تتوسط الإقليم وتمثل المركز الحضري له، تحوي أهم مرافقه الإدارية والتجارية. وتعتبر إذا تجاوزنا المعايير الدقيقة لتصنيف المدن والحواضر كما حددها الجغرافيين(حمدان، ج. (د. ت): 5-12)، من أهم وأقدم

مراكز الاستيطان البشري في سوف، بل أن اسمها يُطلق على المنطقة قاطبة، فيقال: "الوادي"، أو "الواد" أو "لِبْلاد" على لسان الدارج. وسُميت الوادي؛ لأنها محل محبس جريان الوادي الذي كان يجري في المنطقة قديما، وكان انتهائه في هذا الموضع فاعتبر المنتهى، ولهذا أخذت البلدة اسمها من خلال البعد الجغرافي.

وقد أثر المناخ تأثيرا مباشرا في تخطيط التكوينات المعمارية للمدينة، كما كان له أثره في تخطيط وتحديد اتجاهها، وتشابهت هذه التأثيرات في معظم المدن الإسلامية كما سبق وأن ذكرنا، لاسيما وأن أغلبها يقع تقريبا في المنطقة الحارة(عثمان، م. 1988: 104/128)؛ لذلك نجد أن أغلب قرى ومداشر الوادي أقيمت غرب الغيطان، وتم اختيار هذا الاتجاه حتى تُحمى من الرمال والرياح(Voisin, A. 2004: 163). ومن بين الشروط التي حددها ابن أبي الربيع لإنشاء المدينة التمييز بين قبائل ساكنيها، وهذا ما نلحظه في تموضع القبائل في المدينة، وتكونت نتيجة ذلك ثلاث أحياء عتيقة؛ حي الأعشاش، حي المصاعبة، وحي أولاد احمد.

وتجلى شرط وسطية المسجد لابن أبي الربيع في الحاضرة المذكورة، فقد اهتم أهل المدينة بعد تشبعهم بتعاليم الإسلام بإقامة المساجد، حيث كان لكل قبيلة مسجدا يمثل مجمعا للتشاور والتعاون، ومكانا لتحقيق العدل بين الأفراد، ومدرسة لتعليم الصغار والكبار. وأول مسجد جامع تم تشييده سنة 1600م بأمر من الداعية سيدي المسعود، ولا يزال يأخذ اسمه إلى يومنا هذا، وحوله توسعت المدينة وازداد عمرانها. إلى جانبه نجد سوق الوادي الكبير وهو إحدى الشروط الربيعية المذكورة، وغير بعيد عنه مقرات اجتماع رؤساء المجموعات أو ما يسمى بـ "جماعة الميعاد" أو "مجلس الأعيان"(ميهي، ع. 2015: 20)؛ لسيادة النظام القبلي في المنطقة، بحيث لم يوجد هناك مقرا لحاكم تجتمع لديه كل السلطات في المدينة؛ لعدم خضوع سوف لحاكم كما يقول الرحالة العياشي، بل كان القرار جماعيا، أو يمكن القول سلطة اسمية جماعية تهتم بدراسة أحوال المجتمع وحل خلافاته، وهذا قبل أن تدخل المنطقة تحت براثن المستعمر الفرنسي.

وخوفا من إغارة الأعداء والذعّار، قام عرب طرود ببناء سور حول المدينة، له أربعة أبواب محروسة، تفتح بحسب الجهات الأربع؛ الباب الغربي، والباب الشرقي وإلى عهد قريب يسمى باب السور، الباب الشمالي، والباب الجنوبي، كان السور عاليا عريضا وبوسطه دكانات للجلوس عليها، تمام بنائه كان في سنة 1044هـ/1635م، لم يعمر طويلا نظرا لقوة الرياح التي تعرفها المنطقة، اندثر في سنة 1949م (Voisin, A. 2004: 175). ولتلك العناصر المذكورة توابع لا تقوم إلا بها كالبساتين والساحات(الرحبة)، والمقابر، كما تميزت المدينة كباقي المدن الإسلامية العتيقة بالاستطالة في مخططها، وبنسيج عمراني أصيل ومتنوع، حيث البنايات المتداخلة ذات الطابق الواحد، والأزقة الضيقة، والجدران القصيرة.

### 4- العمارة والعمران السوفي بأقلام الزوار الأجانب:

لقد تركزت الكتابات الأجنبية حول المنطقة، في دراسات قامت بها شخصيات من جنسيات فرنسية؛ بحكم دخول الجزائر تحت ظل المستدمر الفرنسي. وقد دأب الفرنسيون عند رغبتهم في النفوذ إلى منطقة من المناطق بأن يُرسلوا المستكشفين والباحثين، ويبعثوا بالعيون والموفدين لرصد واقع تلك المنطقة وظروفها، وطبائع أهلها، والطرق الموصلة إليها، ومدى قدرتها على المقاومة والوقوف في وجه القوات الغازية تطبيقا للمقولة الشهيرة: "يجب معرفة الناس للسيطرة عليهم وقيادتهم"(بن محمذن، م. 2003: 158/20). وتتويجا لتلك الجهود كان المكلفون بالمهام المذكورة لرصد واقع المناطق أثناء استكشافها، أو حين تسير عمليات التوسع فيها قد تركوا العديد من الدراسات والكتابات التي تحمل انطباعاتهم ومشاهداتهم حول الكثير من مناطق الجزائر شمالا وشرقا وغربا وجنوبا. ولقد تنوع كُتَّاب تلك الانطباعات، فكان منهم العسكريون والمستكشفون والأكاديميون الباحثون، ورجال الدين المبشرون ومنهم المغامرون ورجال السياسة والسُيّاح.

ومن هنا بدأ الاهتمام الفرنسي يزداد بوادي سوف، ونظرا لقلة معلوماتهم الاستخباراتية حول المنطقة، عمدوا إرسال بعثات استخباراتية؛ لدراسة السكان والمكان، وجمع مختلف المعلومات عن الإقليم؛ خدمة للسياسة الاستعمارية قبل اجتياح المنطقة وبعدها. ففي سنة 1845م زار الضابط الفرنسي "دوماس" Daumas الوادي بتشجيع من الماريشال بيجو، وألف كتابا بعنوان: "الصحراء الجزائرية"؛ وهو دراسة إحصائية وجغرافية وتاريخية عن الجنوب القسنطيني، ذكر فيها معلومات مهمة حول قرى سوف والولاءات القبلية لسكانها (Daumas, L. 1945: 189-190). بحيث يقدم إحصاء لعدد القرى والمنازل بها. ويذكر أن بها سبع قرى، ويظهر أنه استحسن عمرانها مقارنة بغيرها؛ لأنه يذكر بازدراء العمران البدوي، بقوله: وخارج هذه القرى الرئيسة التي يبدو بناؤها سيئا جدا، ولا تتوفر منازلها على جدران خارجية، تتجمع قربيات(زرايب) حيث يمكن للمسافر الغريب أن يجد مأوى، وحيث تسكن العائلات الفقيرة مكدسة مع الدواب(ميهي، ع. 2015: 19).

ومن تلك الدراسات التي أعطت وصفا لمعمار وعمارة سوف، نجد بحثا تحت عنوان: "مذكرات الطريق" ألّفه الشاب المغامر، الذي كان يشعر بجاذبية لا تقاوم إلى القارة الإفريقية(العربي، إ. 1983: 82) ، وهو، الرحالة "هنري ديفاريي" Henri Duveyrier، وهي عبارة عن رحلة في الواحات الجزائرية والتونسية قام بها المذكور في سنة 1860م. يقدم ديفاريي معلومات حول القرى العامرة وتلك التي أصبحت أطلالا شاهدها بأم عينه. فيذكر، أنه كانت "غمرة" سابقا قرية عامرة لم تبق فيها الآن سوى الأطلال، وأما "قمار" فهي بلدة من 4000 نسمة تقريبا، لا يتعدى ارتفاع منازلها قامة الرجل ، وهي ذات مظهر بائس، ورغم ذلك، فهي متينة لأنها مبنية من الحجر والجير. لأسقفها، التي تعلوها قباب صغيرة، طابع خاص، ليست الجدران مطلية ولا مسوية لكن الكل يبدو أبيضا، هناك القليل من المساكن المجمعة. تتوفر البلدة على سوق وبعض الدكاكين والكثير من المساجد، بما في ذلك الزاوية التي هي أجمل معلم في قمار(ديفاريي، هـ. 2014: 25).

وفي طريق عودته إلى الوادي، يمر بدشرة "ورماس"، التي لم يرى فيها سوى ثلاث قباب صغيرة مبنية من الجبس الخام تبرز من تحت الرمال، قال له رفيقه أحمد، أنها سقف منزل رآه سابقا قبل أن تطمره الرمال. وعند وصوله إلى بلدة كوينين، وصف عمرانها بأنها، بُنيت مثل قمار تماما؛ يعني أن غرفا حقيقية تحيط بأفنية المنازل، وليس بداخلها خيام في الوسط مثل منازل الوادي؛ حيث لا تزال البداوة تقاوم الحالة الحضرية، وحيث يختلف ارتفاع الجدران من كتف الرجل حتى رأسه، القباب والجدران ليست سوية ولا طيّنة بحيث لا يظهر ذلك منظرا من النظافة والأناقة(ديفاريي، هـ. 2014: 51-52). لقد أيدت وثائق التركات(سجلات المحاكم الشرعية) التي قمنا بجردها ما ذهب إليه ديفاريي، في أن عمران بلدة كوينين وحتى قمار تكاد تنعدم فيهما بيوت الشعر، وفي المقابل سجلت الأخيرة حضورها في عمران طرود بالوادي وأحوازها، فكثير ما هم من بني هذا الشعب من أُحصي من بين متروكهم الخيام ولواحقها.

وعند زيارته إلى الوادي، يذكر بأن النمط المعماري متشابه مع ما لاحظه في قمار، ويقول: "الوادي"، مدينة من 6000 نسمة، لها نفس النمط المعماري لبلدة قمار، لكن بها مساجد مآذنها مرتفعة وبرج الخليفة. تتكون المنازل، في جزء كبير منها، على باحة تنتصب بداخلها خيم وأكواخ من جريد النخل، يسكن أولاد أحمد حيّا منفصلا، إلى الشرق من برج الخليفة. شيّد البرج حسب تصميم النقيب لنجلوا، البرج عبارة عن مربع من حصنين مربعين للحراسة من الشرق والغرب (في ركنين فقط). يحوي أحد الحصنين السجن الذي هو أجمل من كل بيوت المدينة(ديفاريي، هـ. 2014: 27-28).

وأما الدراسة الثانية، والتي كانت عبارة عن وصف لمسير في الطريق من باتنة إلى تقرت حتى الوادي، لصاحبها "ج. زاكون" J. Zaccone قام بها سنة 1865م، وقد تضمنت وصفا للأماكن التي مرّ بها من ورماس إلى كوينين ثم الوادي وقمار، وقد سجل من خلاله ما شاهده حول عمارة وعمران المنطقة. ويبدو أنه أعجب ببلدة كوينين، بحيث يقدم لنا وصفا دقيقا لعمرانها ومواده الإنشائية، ويذكر أنه لا يوجد

في أوروبا ما يشبهها، بحيث يقول: لا شيء في أوروبا ولا في الجزائر يشبه كوينين، حتى نتصور هذه البلدة، علينا أن نتخيل عددا من خلايا النحل تعلوها قباب صغيرة كروية الشكل على علو مترين، متلاصقة في أسفلها، يجمعها جدار طوله مترين. ويمكن أيضا أن نكوّن صورة تقارب الحقيقة عن كوينين لو تصورنا بيادق لوتو موضوعة على كتاب منبسط، تتفاجئ العين وتندهش، نرى حولنا ولا نفهم شيئا في الأول، وندرك ماهية كل تلك القباب الصغيرة الكروية الشكل التي تبدو مصطفة على الأرض. كل المنازل هنا ذات طابق أرضي، حين يكون المنزل عريضا قليلا ترتكز القباب الأربعة على عمود دائري الشكل يقع في وسط البيت، كل البنايات والمنازل مبنية بالجبس وبالحجارة المتواجدة في سوف؛ هذه الحجارة هي في شكل كتل منشورية حادة من جميع جوانبها. دخلنا نركب الأحصنة عبر شارع ضيق جدا، الشوارع هنا مستقيمة ولا يزيد عرضها عن المترين(ميهي، ع. 2015: 26-27). ومن فرط إعجابه بالبلدة، يضيف بأنها، تستحق الرؤية، وتستحق أن نسافر من أجلها.

ويذكر عن الوادي، بأنها تشبه كوينين، لكن منازلها أقل تميزا، وتختلف المنازل بين من هي ذات قباب صغيرة وبين من هي ذات أسقف مسطحة(دمس)، كلها ذات طابق أرضي فقط مثل منازل كوينين. ثم يقوم بزيارة لبرج المدينة، الذي يقول أنه يقع إلى جنوبها من ناحية الشرق، ويعطي وصفا دقيقا لمرافقه، فيذكر: يتكون البرج من سور به فتحات وحصنين مرتفعين على نفس القطر المنحرف مثل برج سعادة، بداخله مربع صغير يتشكل من سكن الخليفة ومن فناء للخدم، خلف هذا السكن وقبالة المدخل، قاعة المسافرين وإلى جانبها شيّد الإسطبل الذي يُستعمل أيضا مخزنا(Zaccone, J. 1865: 253-254). كما ينفرد زاكون بإعطاء وصف لعمارة أحد دور العبادة بالمدينة وهو مسجد سيدي سالم، ويضيف أنه، يتكون من طابق أرضي، تُسند سقفه ستة عشر ركيزة، فناؤه الداخلي مبني على شكل رواق مرتفع قليلا في وسطه، صعدنا إلى أعلى المئذنة لنستمتع بمناظر المنطقة، لم نر سوى الرمال الممتدة على مرمى البصر ورؤوس النخيل المختبئة في حفر عميقة.

وأما الزيارة الثالثة فهي، "لفكتور لارجو" Victor Largeau، الموسومة بـ "الصحراء الجزائرية، كثبان الشرق –سوف" وكانت سنة 1881م. والتي حملت تفاصيل هامة عن الطريق من غدامس إلى الوادي، وأعطت الدراسة معلومات قيّمة حول عمران ومعمار سوف القديم، إذ يخالف دوماس في إحصاء المدن والقرى السوفية، ويقول: في سوف ثلاث مدن رئيسية وسبع بلدات أو قرى، المدن الرئيسية هي الوادي، كوينين، ثم عميش، ورماس، الزقم، البهيمة، تاغزوت، الدبيلة وسيدي عون، ويربط كل هذه المراكز السكنية على طول الطريق خط من المنازل، تشيد المساكن دائما في المرتفعات، خارج الحدائق. وحين يريد السوفي بناء منزله فإنه يدعو أصدقاءه ليعينوه على البناء، يبدأ الكل العمل بحماسة، ورغم بساطتها تلك، فإنها تبدو من الخارج أنيقة ونظيفة، ليس كما نرى في وادي ريغ على حد تعبير لارجو. ويبلغ طول المساكن من 7 إلى 8 أمتار وعرضها من 1.50 إلى 2 متر، وارتفاعها يبلغ قامة رجل متوسط الطول، ويتساءل، أليس من الأجدر رفع الجدران قليلا؛ ويبرر ذلك بأن السوافة، يرون أنه من غير المجدي بناء جدرانهم أكثر ارتفاعا، بل يفضلون الحفر في داخل المساكن على بناء جدران عالية في الخارج، تُشيّد هذه المساكن من الحجارة الكلسية الخام ملبسة بالجير، جدرانها ليست سميكة، يتكون السقف من ثلاث أو أربع قباب صغيرة تسندها دعامات من جذوع النخل(Largeau, V. 1881: 334).

أبواب المنازل في سوف ضيقة جدا وقصيرة، حتى أنه لا يكاد يسمح بدخول رجل إلا منحنيا، وأما النوافذ فلا وجود لها، إلا إذا أردنا أن نعطي هذا الاسم لحفرة صغيرة بالقرب من الباب، هذه الحفرة التي هي في الحقيقة أنبوب المدخنة بما أنه المنفذ الوحيد الذي يخرج منه الدخان. ويؤكد أن، الوادي، المدينة الرئيسة في سوف، تضم ألف منزل صغير من هذا النوع، وما عليك سوى الوقوف على أصابع الرجل حتى تشرف عليها كلها، توجد البنايات الوحيدة المهمة في القصبة وهي سياج فسيح به فتحات للرمي وحصنين بما في ذلك مسكن الخليفة، الشوارع واسعة شيئا ما ولكنها ملتوية، تتكفل الريح بنظافتها حين تأتي بالرمل الجديد ليغطي الأوساخ المتراكمة (Largeau, V. 1881: 334-335).

وفي دراسة أخرى موسومة برحلة عبر الصحراء، لأستاذ الجغرافيا الدكتور "كات" E. Cat قام بها سنة 1895م، تم فيها رصد لمسار الوصول إلى وادي سوف، وحدودها وتضاريسها ومناظرها ومواردها وبناياتها والأوضاع المعيشية والاجتماعية والاقتصادية بها. ويقدم كات مقارنة بين عمارة سوف والواحات الأخرى، ويعطي وصفا دقيقا للتكوينات المعمارية للمنزل السوفي من الداخل ومواد إنشائه، وطريقة بنائه، فيقول: لا تشبه بناءات سوف تلك التي في الواحات الصحراوية الأخرى، هنا، لا يستعمل الناس قوالب الطوب المجفف في الشمس وليس هناك من سطوح فوق المنازل. يستعمل الناس في بناء منازلهم حجارة الجبس الكلسي، تحرق الحجارة وتطحن لتعطي جبسا رديئا. يُشيّد السقف من أغصان النخيل تعلوها قباب صغيرة كروية الشكل تشبه قباب الأضرحة الصوفية، عادة ما تكون الأبواب ضيقة منخفضة بحيث على المرء أن ينحني لعبورها(ميهي، ع. 2015: 72).

وتتكون المنازل عادة يضيف "كات"، من فناء داخلي وعلى ثلاثة جوانب منه توجد الغرف والمخازن، على الجانب الرابع هناك رواق ذو أقواس، في وسط الفناء أو أمام السكن توجد زريبة من جريد النخل بها خيمة أين تقيم العائلة. عادة ما تكون المنازل مؤثثة بعناية أحسن من المنازل في واحات الصحراء الأخرى، ولبناء مثل هذه المنازل ليس هناك من ضرورة لبنائين مهرة أو مهندسين، من يريد بناء منزل يدعو أصدقاءه، ويشرع الجميع في العمل عند الفجر، وعند المساء في أغلب الأحيان تكون البناية قد انتهت؛ تختم هذه المهمة بضيفة مكافأة للعمال وحفلة تدشين للمنزل الجديد، رغم ذلك، فإن بعض البيوت مبنية، في قمار، بطريقة أكثر تعقيدا، تتوفر هذه البيوت على طابق أول وأسطح وهي من انجاز بنّائين زنوج أو تونسيين(ميهي، ع. 2015: 72-73).

ويبدو أن كات أراد أن يوحي إلى القارئ بأن السوافة مجتمع أعرق في البداوة وأبعد عن العمران الحضري، وهو وصف تعزوه الدقة والاختبار أكثر، وهذا لتداخل أنماط الحياة لدى مجتمع المنطقة ذات الخصائص الحضرية والريفية والبدوية. وأما ما يخص عدم وجود بنائين مهرة في الوادي، فقد دلت وثائق المحاكم الشرعية المتوفرة لدينا، أن هناك من السوافة من ألحقت بأسمائهم حرفة البناء وأصبح يُعرف بها، ومن هؤلاء، يبرز في سنة 1885م اسم "عبد القادر بن بعلاق الحمدي حرفته بناء"، ويُعرف رئيس البنائين في المنطقة بـ "المعَلَّم" (Maçon)، كان القضاة يستشيرونهم في شؤون البناء والعمران(عثماني، ج. 2016-2017: 362).

ورغم أن كل الذين زاروا المنطقة من الفرنسيين، أجمعوا على أن المسكن السوفي ذو طابق أرضي، إلا أن أواخر القرن 19م بدأ يشهد ظهور بعض المساكن ذات الطابق العلوي، وهذا ما أوردته ايزابيل ابرهاردت في مذكراتها، بحيث تذكر أنها استأجرت بيتا من أجمل المنازل في الوادي بحسب تعبيرها، غير بعيد عن بيرو عرب، يحتوي على أربع غرف فسيحة في الطابق الأسفل، ورواق مقبب به ثلاث أقواس أين بنت فرنا من الجبس للطبخ، ومستودعين للتبن والدجاج والحمام..، وغرفة مقوسة أين يبيت الحصان. وفي الطابق العلوي الذي يتم الصعود إليه عن طريق سُلّم، غرفة بنافذتيها ليس بهما زجاج تشرفان على مدينة الوادي، حصلنا على كراء كل هذا المنزل بـ 10 فرنكات للشهر الواحد، ويمكننا شراء هذا المنزل بـ 1000 أو 1200 فرنك(ابرهاردت، از. 2006: 94-108).

وتنفرد ابرهاردت بإعطاء وصف لمنزل سوفي من الداخل، فتذكر أنه يتكون من: غرفة النوم وبها مخدع النوم المقوس، غرفة الخادم بلا شباك، غرفة نستعملها مخزنا للطعام، بهو به ثلاث غرف أستعمل إحداهن مكتبا، بهو في الهواء الطلق به مرحاض قديم بلا سقف، شرفة مقوسة ومقببة، فرن من الجبس، المرحاض الجديد، مخزن مغطى، مدخل المخزن، غرفة الحصان التي تفتح على بهو المنزل، السلم المؤدي إلى الشرفة، غرفة الطابق الأول بنافذتيها(ابرهاردت، از. 2006: 98). والملاحظ من خلال وصف المكونات الإنشائية لهذا الحوش الذي يقع في قلب مدينة الوادي، أن هناك إضافات تحسينية أو لمسات عصرية مقارنة بما هو شائع في معمار المنطقة، وهذا باستعمال السقف من جهة، وتوفر أكثر من

مساحة(بهو) داخل البيت من جهة ثانية، إذ المعروف وجود بهو(صحن) واحد في البيت السوفي ناهيك عن مساحة المجاز الضيّق. واللافت أيضا أن السوفي لا يزال يتمسك بالكنيف الغير مسقف، تفاديا للروائح المنعثة منه؛ لعدم توفر قنوات الصرف، وفي العادة يتم اختار الأماكن المشمسة –كما أسلفنا– عند تشييد هذا المكون المعماري، ويجعل من الخارج فتحة(خلف جدار المرحاض) حتى يتسنى لربّ البيت إخراج الفضلات من الخربة، ليُستفاد منها في تسميد الزرع(الحرث) في الهود وهذا بعد تجفيفه، فالسوفي معروف عنه استغلال كل ما يحيط به في بيئته، واستخدامه فيما يعود عليه وعلى عياله بالنفع والفائدة.

ويعطي حاكم ملحقة الوادي والباحث "جستون كوفي" Cauvet Gaston، معلومات غاية في الأهمية حول عمارة ومعمار المنطقة. ويذكر أن، لمنازل سوف خاصية تشد الانتباه قبل أن يطرأ عليها تغييرات معتبرة على الأقل زمن استقراره في البلد، ويَحتمل أن القبة نصف الكروية الشكل، قد جاء بها مهاجرين فُرْسا جاءوا بها في فترة متقدمة جدا. ثم يصف المذكور مكونات المنزل السوفي بقوله: يتشكل المنزل السوفي من باحة يتغير حجمها حسب الموارد التي تتوفر عليها الأسرة وحاجتها للسكن، تكون جدرانها بقدر طول قامة الرجل حتى تكون النساء بمنأى عن أنظار المتطفلين. تنصب الخيمة بداخل الباحة، وحين يجمع أهل البيت ما يكفي من الجبس الضروري يبنون في ركن من المنزل غرفة، ومع مر الزمن وتزايد عدد أفراد الأسرة وحاجيتها للتخزين تملأ دائرة البيت بالغرف في غالب الأحيان. والمنازل الجديدة في ضاحية المدينة يترك أحد جوانب الباحة بلا بناء، ويعوضه سياج من الجريد. (كوفي، ج. 2016: 99–101).

في المنزل السوفي، تتشكل الغرف التي تملأ دائرة المنزل من خلايا مجمعة، فوق كل واحدة منها قبة من الجبس والحجارة مشيّدة بلا قالب، بفضل التماسك السريع للجبس السوفي؛ فهو مادة البناء المتوفرة في المنطقة وتحوز على مواصفات الإسمنت تقريبا. قياسات الغرفة مقبولة كما يذكر كوفي، وإذا أراد السوفي أن يزيد في عرض الغرفة عليه تعويض الجدار الداخلي بصف من الأعمدة والأقواس الداعمة، تستعمل إحدى هذه الغرف للتخزين، حيث يُشيّد بها خابية أو عدد من الخوابي لتخزين تمر الغرس، وتغطى ببلاطة من الجبس هي أيضا(كوفي، ج. 2016: 100–102). ويعزو كوفي التغيير والتحسين الذي طرأ على العمارة السوفية كان بفضل أبناء بلده، ويذكر أن "النقيب بوجات" Le Capitaine Pujat قد علّم السوافة الاستفادة القصوى من جبسهم العجيب والمتين؛ وذلك بتشييد قباب مستطيلة ذات العقد الكامل(الأدماس) وهي بسيطة الهندسة لكنها لائقة جدا، وبنفس الطريقة تمكن بناؤوا سوف من تشييد قباب ذات مقاييس جيدة استعملوها في عمارتهم الدينية (المساجد)، وهكذا برزت مدرسة من البنائيين انتدبوا خارج سوف وأنجزوا في مدن وادي ريغ والزيبان مساجد جديدة مستوحات من الطريقة التونسية. (كوفي، ج. 2016: 102–103).

والسوفي بفضل ذكائه الوقاد، تمكن من صقل موهبته ودمجها مع الخبرات الوافدة أو التي سافر من أجل كسبها في مجال العمارة، وبرز في المنطقة أعلاما نبغوا وأصبحوا فرسانا في هذا الميدان، ومن أولئك نجد الفنان "قاقا"؛ الذي برز في النقش على الجبس سماه كوفي أحمد (كوفي، ج. 2016: 103)، وربما يقصد، عمر بن محمد بن إبراهيم، المعروف بعمر قاقة، والمولود سنة 1858م بقمار وبها نشأ وترعرع، ذاع صيته في حرفة النقش على الجبس، وقد حذق هذه الحرفة بفضل حم العروسي التجاني صاحب زاوية قمار، الذي استقدم النقّاش أحمد بالطاهر بن بالقاسم التجاني المضوي الفاسي(المغربي)؛ لنقش جامع الزاوية والأماكن الأخرى بها، حيث كان الشيخ العروسي يحثّ عمر قاقة على تعلم مكامن وأسرار هذه الحرفة التي لم يكن لها وجود في أرض سوف، سافر إلى تونس بقصد تحسين أدائه وعاد من هناك ومعه نماذج من الجبس المنقوش إلى الجزائر العاصمة؛ لإنجاز زخارف في قصر الصيف، وهو إقامة الحاكم العام في الجزائر. وأخذ عمر من الحاذقين لتلك الحرفة، حتى أصبح علما في ميدان النقش على الجبس في سوف وعموم الجزائر لا يجاريه أحد، وقد تحصل على العديد من الأوسمة وشهادات التقدير عرفانا

له بإتقانه لتلك المهنة، ولم يكتفي بذلك بل أخذ على عاتقه تعليم هذه الحرفة لأبنائه وأهل البلدة. توفي عمر قاقة يوم 1941/01/30م(العقون، ت. 2013: 293-294).

## 5- خاتمة:

وفي جملة القول، تؤكد الدراسة على أن نمط العمران والعمارة لحواضر وقرى سوف؛ هو امتداد للنمط العمراني للمدينة العربية الإسلامية، فقد توفرت أغلب شروط الإنشاء التي حددها علماء ومنظرو المعمار الإسلامي في عمارة حواضر سوف، الوادي وقمار وكوينين. وأما عن نظرة الأجانب الذين زاروا المنطقة لنمط العمارة المذكور، فنسجل أن هناك تكرار في المعلومات، ورغم أنهم عاينوا المنطقة مشاهدة، إلا أن بعضهم اجتر ما كان قد سبقه غيره في تدوينها، ومع ذلك لا تخلو تلك الدراسات من الحقيقة وحسن الوصف الجارح أحيانا، سواء في جانب العمارة والعمران أو حتى في حياة الناس العادية التي تطبعها البداوة والتقشف، ونوجز ما حوصلناه في النقاط الآتية:

- ركزت الدراسات على وصف عمران وعمارة ثلاث مدن رئيسة، وهي: الوادي، قمار، كوينين. واتفقت على سيادة طابع عمراني متشابه بين المدن الثلاث، إلا أن بعضهم ذكر بأن الوادي أحسن معمارا، وخالفه آخر بحيث أبدى إعجابه بقمار وزاويتها وليس بها خيام في وسط المنازل مثل الوادي حيث البداوة تقاوم الحالة الحضرية، ونوه ثالث بكوينين وقال أنها تستحق الزيارة.
- أغلب من زار المنطقة من الأجانب وصفوا عمارة وعمران سوف بالبساطة وقلة التكلفة، ونظر لها البعض بعين الازدراء.
- يتم تشييد المساكن في الأماكن المرتفعة، وتفتقر البناءات للأناقة، والجدران ليست سميكة، وقصيرة الارتفاع؛ بحيث تبلغ قامة الرجل المتوسط الطول، ولا يتم تلبيسها بترك الحجارة بارزة، بحيث كانت محل سخرية من بعضهم.
- المنازل ضيّقة وأبوابها قصيرة، ولا وجود للنوافذ بها، وإن وجدت فليس بها زجاج.
- المواد الإنشائية للبناء، تتكون من الجبس الكلسي، ومن جذوع النخيل، أي، بمواد محلية ومن واقع السكان.
- التكوينات المعمارية للمنزل السوفي، وُضعت بشكل مدروس متلائم مع طبيعة المناخ الحار بالمنطقة، بحيث اتخذ المعمار المحلي الحوش أو فناء المنزل كوحدة أساسية للبيت السوفي؛ إذ بذلك يتوافق العمران مع الظروف الطبيعية.
- يُعبر العمران بالمنطقة عن خصوصية التفكير لدى المجتمع السوفي وطبيعة الثقافة السائدة لديه، فالدار السوفية كلها حذر وغيرة؛ وهذا يتوافق والمرجعية الدينية للسكان.
- تتميّز وادي سوف بطابعها المعماري الذي يختلف على جميع المدن والقرى الصحراوية، بوجود طابع هندسي فريد وهو القبة والساباط اللتان هما جزءا أساسيا في الوحدة السكنية بالمنطقة. كما ينعدم وجود الطوابق في العمارة السوفية، بل البناءات كلها أرضيه، مع وجود النادر من استغل أسطحها؛ فهي العمارة الصحراوية ذات النمط المتقشف.
- شهدت العمارة المحلية تطورا لافتا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي، بحيث استفاد السوافة من الخبرات الخارجية وأخضعوها لشخصيتهم العمرانية، وظهور ملامح المدرسة المعمارية السوفية.

## بيبلوغرافيا البحث:

* **المراجع باللغة العربية:**

- إبراهيم، العوامر. (1977)، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع. الجيلاني العوامر، تونس: الدار التونسية للنشر، الجزائر: الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع.
- ابرهاردت، ايزابيل. (2006)، **عودة العاشق المنفي (كتابات ايزابيل ابرهاردت عن سوف)**، تر. عبد القادر ميهي، الوادي: مطبعة الوليد.

- ابن أبي الربيع، شهاب الدين. (1996)، **سلوك المالك في تدبير الممالك**، تح. عارف أحمد عبد الغني، دمشق: دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن خلدون، عبد الرحمن. (2004). **المقدمة**، لبنان، بيروت: دار الفكر.
- الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن. (1987). **جمهرة اللغة**، ج. 1، تح. رمزي منير بعلبكي، لبنان، بيروت: دار العلم للملايين.
- العدواني، محمد. (2011). **تاريخ العدواني**، تح. أبو القاسم سعد الله، الجزائر: دار البصائر.
- العربي، إسماعيل. (1983)، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- العقون، التجاني. (2013)، **أعلام من ڤمار بوادي سوف**، الوادي: مطبعة سخري.
- بن سعيد، لطيفة. (2014م، 16-17 أفريل). **البعد الإيماني للعمارة والتعمير**، بحث مقدم في الملتقى الدولي حول العمارة والفنون الإسلامية بالجزائر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.
- بن علي، محمد الصالح. (2013) **جماليات العمارة التقليدية في وادي سوف، حي الأعشاش نموذجا**(1400-2011)، ج. 1، الوادي: مطبعة مزوار.
- حسونة، عبد العزيز. (2013)، **عمارة مدينة قمار بمنطقة وادي سوف من القرن** 10 إلى 13**هـ**، الوادي: مطبعة مزوار.
- حمدان، جمال. (د. س)، **جغرافية المدن**، ط. 2، القاهرة: عالم الكتب.
- ديفاريي، هنري. (2014)، **مذكرات الطريق**، تر. عبد القادر ميهي، الوادي: مطبعة مزوار.
- شافعي، فريد. (1970)، **العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- عثماني، الجباري. (2017/2016)، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في وادي سوف بين عامي** 1854-1918م **من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، كلية الآداب والحضارة الإسلامية.
- غنابزية، علي وآخرون. (2000). **مفكرة نهاية القرن العشرين**(1999-2000)، الوادي: المطبعة العصرية.
- كوفي، جستون. (2016)، **مذكرات حول سوف والسوافة**، تر. عبد القادر ميهي، الوادي: مطبعة الرمال.
- منصور، أبو بكر. (2004)، **من العائلية إلى التعاقدية بوادي سوف**، الوادي: مطبعة مزوار.
- ميهي، عبد القادر. (2015)، **الصحراء الجزائرية**، الوادي: مطبعة مزوار.

*** الدوريات والمواقع الالكترونية:**

- الشامي، عبد العال. (1978)، جغرافية المدن عند العرب، **مجلة الفكر**، مج. 9، ع. 1، وزارة الإعلام، الكويت.
- المنيس، وليد عبد الله عبد العزيز. (1989/1410)، جغرافية الحضر دراسة منهجية لجهود العلماء المسلمين في تطويرها، **حوليات كلية الآداب**، حولية الحولية الحادية عشر ، الكويت.
- بن محمذن، محمدو. (ديسمبر 2003)، الرحلات الاستكشافية الكبرى في الصحراء الكبرى(الدوافع والعراقيل)، **مجلة العلوم الإنسانية**، ع. 20، جامعة منتوري بقسنطينة.
- عثمان، محمد عبد الستار. (أغسطس/آب 1988م)، المدينة الإسلامية، **عالم المعرفة**، ع. 128، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- فياض، رهيف. **في العمارة والعمران**، استرجعت في تاريخ 2 أفريل، 2017 من، http://al-akhbar.com/node/121146.

*** المراجع باللغة الأجنبية:**

- Voisin, André. (2004), **Le Souf, Monographie**, EL-oued: EL-walid.
- Zaccone, J. (1865), **De Batna à Tougourt Et Au Souf,** Pris: Librairie Militaire.
- Daumas, L. (1945), **Le Sahara algérien, Etudes Géographiques, Statistiques et Historiques**, Paris: Langlois et leclerco.
- Largeau, Victor. (1881), **Le Sahara Algérien, les déserts de l'erg**, Paris: Librairie Hachette.
- Nadjah, Ahmed. (1971). **Le Souf des Oasis**, Alger: La maison des livres.